(خطبة طارق بن زياد بين الحقيقة والانتحال)

المدرس الدكتور.
عبد نور داود عمران
سعاد جبير سلطان

المقدمة

منذ وطئت أقدامُ المسلمين أرض الأندلس، وهم يعيشون في نزاع دائم مع سكان البلاد الأصليين، وقد ظلت السيوفُ مشرعة بين الفريقين طوال مدة حكم الولاة[1]، ويطلق اسم عصر الولاة على الفترة التي أعقبت الفتح الإسلامي للأندلس ودامت ستة وأربعين عاماً (٩٢ - ١٣٨ هـ). وتبدأ هذه الفترة بطارق بن زياد، ثم بموسى بن نصير، ثم بابنه عبد العزيز، وتنتهي بيوسف الفهري سنة ١٣٨ هـ. وقد ولي الأندلس في هذه الفترة اثنان وعشرون والياً[2] ، فمنهم من كان يُعيّنهم خلفاء بني أمية في دمشق، ومنهم من كان يعيّنهم والي إفريقية في القيروان، وكانوا يختلفون قوةً وضعفاً، واستقامة وانحرافاً. وفي هذه الفترة توغل المسلمون الفاتحون في بلاد إسبانية وفتحوا بلاداً جديدة كبرشلونة، وقشتالة ، ثم فتحوا جزءاً من فرنسة بقيادة عبد الرحمن الغافقي، فوصلوا إلى مدينة ليون وما زالوا يتقدمون في قلب فرنسة حتى بلغوا تور ولكن شارل مارتل اعترضهم بجموع الفرنجة في سهول بواتيه[3] ، وقتل في تلك المعركة، التي يسميها العرب بَلاط الشهداء قائدهم عبد الرحمن الغافقي، وكثيرون معه، وكان في ذلك سنة ١٤٤ هـ(٧٣٢م). ولم يقتصر عصر الولاة على الحروب بين المسلمين والنصارى في أوربة بل حدث شقاق عظيمٌ في المسلمين أنفسهم[4]، فقد كانت هناك نزاعات وحروب داخلية على أشدها بين العرب والبربر تارة، وبين العرب أنفسهم تارة أخرى، ولاسيما بين القيسية واليمانية، ثم بين مؤيدي الأمويين والعباسيين. لهذا كله كان عصرُ الولاة عصراً مضطرباً، وكانت السمات السياسية فيه، هي: الحروب والصراع، وعدم الاستقرار، مما جعل القلق يدبُّ في أوصال المجتمع، ويفكّك قوّته ويصدّع تَماسكه[5]. وفي هذا العصر بدأت الخيوطُ

الأولى لفجر الأدب الأندلسي، فقد عرف عصر الولاة شذرات من الشعر والنثر قالها أدباء من الطارئين على الأندلس٦ ، كانت بمثابة خيوط الفجر الأولى التي تؤذن بصبح مشرق. ويبدو أنَّ أوَّل نص أدبيّ عربيّ تردد في الأندلس هو هذه الخطبة وأبيات شعرية أخرى قالها طارق بن زياد في الفتح، وقد أوردها المقري في النفح٧ .

يعد طارق بن زياد من أشهر زعماء المقاومة الأمازيغية في العصر العربي الوسيط إلى جانب كسيلا والكاهنة ويوسف بن تاشفين. وقد استطاع بفضل عقيدة الإسلام وسماحة الدين ويسر الشريعة الربانية أن يتعلم القرآن الكريم وسنة نبيه (ص)، وبفضلهما نجح طارق في فتح الأندلس ونشر الإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا حتى وصلت الفتوحات الإسلامية إلى لابواتييه بفرنسا. واستمر الإسلام في الأندلس مدة ثمانية قرون، واستطاع المسلمون أن يقدموا لأوربا حضارة إنسانية متقدمة كانت من بين العوامل الأساسية لتحقيق النهضة الأوربية، وانتشار الحركة الإنسية، وانطلاق الكشوفات الجغرافية، وتطور المعارف والعلوم والفنون في الغرب المسيحي، والتي أسفرت عن ظهور ما يسمى بغرب الحداثة الذي سيسيطر على العالم بفضل ثمار الحضارة العربية التي ازدهت بالأندلس، والتي كان وراءها القائد البربري المسلم طارق بن زياد. إذا، من هو هذا الفاتح المشهور الذي تحدثت عنه كتب التاريخ سواء العربية منها أم الأجنبية؟ وما هي أهم المراحل التي مر بها فتحه للأندلس؟ وما موقع خطبة طارق بن زياد من التشكيك والإثبات؟

المبحث الأول

الإطار التعريفي لمرتكزات البحث

يتناول هذا المبحث الإطار التعريفي لمرتكزات البحث (القائد طارق بن زياد ، خطبته) من حيث نشأته وشخصيته وظروف الخطبة وما مرت بها من تغيرات عبر الزمن وتحليل نصها من حيث النوع والهدف والأسلوب مع تقديم خلاصة بهذا الصدد وباختصار فأن هذا المبحث يجيب عن التساؤلات الآتية :-

- من هو طارق بن زياد ؟

- خطبة طارق بن زياد نصها؟ أهدافها؟ ظروفها؟ أسلوبها؟
- تحليل الخطبة وما هي أقسامها ؟

أولا : **طارق بن زياد من هو؟**

١ ـ الشخصية :

أورد ابن عذاري المراكشي في كتابه "البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب" أن نسب طارق بن زياد هو طارق بن زياد بن عبد الله بن لغو بن ورقجوم بن نير بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو... فهو نضري.[١] وقد اختلف المؤرخون في نسبه، فهناك من يعتبره فارسيا همذانيا، وهناك من يدافع عن بربريته بأنه من مواليد قبيلة نفزة البربرية. و قد قيل إن طارق: طويل القامة، ضخم الهامة، أشقر اللون، وتنطبق هذه الصفات على عنصر البربر".[٢] ومن المعروف أن طارق مولى مغربي أمازيغي لموسى بن نصير، وهو أيضا من البربر الزناتيين أو النفزاويين، وقد أسلم والد طارق منذ أيام عقبة بن نافع الفهري.وقد كان طارق بن زياد حسب الروايات الأدبية والنقدية شاعرا مفلقا، إذ أورد له المقري في كتابه "نفح الطيب" بعض الأبيات الشعرية نقلا عن الحجاري في المسهب وابن اليسع في المغرب، وهي:[٣]

ركبنا سفينـــا بالمجاز مقيرا
عسى أن يكون الله منا قد اشترى
نفوسا وأموالا وأهلا بجنة
إذا ما اشتهينا الشيء فيها تيســـرا
ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا
إذا نحن أدركنا الذي كان أجدرا

وقد قال عبد الله الجراري الدارس المغربي مقوما هذه الأبيات الشعرية: "... وقد اشتد شوق الإخوان البرابرة وقوي شغفهم باللسان العربي الجديد ساعة ما أخذ

القائد طارق يخاطب إخوانه بلون جديد من ألوان الكلام منشدا إخوانه قصيدته في الفتح... بل حسبنا أن نرى هذا اللون من الكلام المقفى والأسلوب المتزن الجديد الذي لا تفتأ تقاطيعه الشعرية ونبراته الغنائية ذات النوبات التفعيلية القارة تجتذب نفسية الأخ البربري وتحرك شوقه الحار لهذا النوع الطريف من القول الحافز بهدوئه الموسيقي إلى الإصغاء بقلب واع ونفس تواقة للنسج على منواله الهندسي الدقيق رافعا مكانته في مقام الكلام إلى أسمى ذروة في الوزن والتقفية".[1] وهكذا، نستنتج بأن طارق بن زياد البربري لم يكن فاتحا للأندلس فحسب، بل كان شاعرا ناصع البيان، وخطيبا بليغ اللسان، فصيح الكلم، يحسن التعبير، ويجيد التصوير الفني والحجاج النصي الإقناعي.

٢- الفاتح للأندلس :

بعد فتوحات حسان بن النعمان المظفرة في أفريقية، وانتصاره على آخر مقاومة في بلاد تامازغا بقيادة الكاهنة ديهيا، سيواصل موسى بن نصير اللخمي فتوحات حسان، وسيدخل إلى المغرب تقريبا بدون مقاومة تذكر. والسبب في ذلك أن حسان بن النعمان هيأ له الأرضية وأخمد كل الثورات الأمازيغية والمناوشات الرومية والثورات المضادة وأسكت كل المتمردين. هذا، وقد أحضر موسى بن نصير معه ألف فقيه ليعلموا البربر أصول الدين الإسلامي والفقه والحديث. وقد تأثر البربر فعلا بحضارة العرب ولغتهم ودينهم بكل سهولة، وتطبعوا بسلوكهم ومبادئ الإسلام السمحة. وفي هذا يقول جوستاف لوبون: "للبربر لغة عريقة يحتمل أن تكون مشتقة من الفينيقية الكنعانية. ويدين البربر بالإسلام، ولكنهم كانوا يدينون بآلهة قرطاجنة الكنعانية. وقد تعربت البربرية حيث تتألف لغة بلاد القبائل الأمازيغية بنسبة الثلث من العربية. فتأثير العرب في شمال أفريقيا أكبر وأقوى من الرومان والإغريق الذين لم يتركوا أثرا في اللغة البربرية."[2] واتخذت فتوحات موسى بن نصير وجهتين أساسيتين: وجهة بحرية للهيمنة على البحر الأبيض المتوسط وجزره، ووجهة برية لفتح جميع الثغور والمناطق التي استعصت على الفتح من قبل حسان بن النعمان

من أجل نشر الإسلام والتعريف بدين محمد (ص). وبعد ذلك، توطدت علاقة موسى بن نصير بحاكم سبتة يوليان أو يليان، وقد اختلفت المصادر في شخصية يوليان هذا، فبعضها يذكر أنه قوطي، وبعضها يزعم أنه رومي، وبعضها ينسبه إلى بربر غمارة...[1] وقد اتصل يوليان بموسى بن نصير لفتح إسبانيا وجعل سبتة في خدمة جيشه وتقديم كل المساعدات التي يحتاجها في مواجهة الملك الرومي لوذريق الذي اعتدى على ابنته وكذلك الوفاء لغيطشة صديقه الوفي الملك السابق قبل لذريق.[2] ومن هنا أمر موسى بن نصير عامله على طنجة طارق بن زياد بتجهيز الحملة العسكرية لفتح الأندلس. وقبل ذلك، أرسلت سرية بقيادة طريف ويكنى بأبي زرعة، ففتح جزيرة طريف في مائة فارس وأربعمائة راجل، فعاد بسبايا وبأموال كثيرة. وتوجه طارق بن زياد لفتح الأندلس سنة ٩٢هـ في اثني عشر ألف جندي، فيهم ثلاثمائة فقط على أكثر تقدير من العرب الذين كانوا قوادا مؤطرين للفرق العسكرية منهم مغيث الرومي وعبد الملك المعافري ، وعبر طارق البحر في سفن يوليان ونزل بصخرة تحمل إلى يومنا هذا اسمه (جبل طارق)، وفتح الجزيرة الخضراء .[3] ودخل بجيشه بعد أن أحرق السفن في معركة حامية الوطيس مع جيش لذريق استمرت ثمانية أيام حسوما انتهت بهزيمة القوط شر هزيمة.

وفتحت هذه المعركة أبواب الأندلس على مصراعيها أمام الفتوحات الإسلامية التي شرقت في إسبانيا وغربت، فوصلت جيوش طارق طليطلة سنة ٩٣هـ دون مقاومة تذكر .[4] ومن ثم، تمكن طارق بن زياد من فتح قرطبة ومالقة وغرناطة ومرسية، وانتهى الى مدينة خلف الجبل تسمى مدينة المائدة وفيها وجد مائدة سليمان ابن داود (علية السلام) .[5] وهكذا استطاع رجال طارق بن زياد، وهم برابرة أشداء، بمساعدة مجموعة من قادة العرب المسلمين أن يفتحوا مدن الأندلس، بعد أن تعلموا القرآن الكريم ومبادئ العقيدة السمحة بسرعة فائقة، وانطلقوا لنشر الإسلام في ربوع شبه الجزيرة الأيبيرية تحت راية الجهاد في سبيل الله بكل حماس وصمود قل نظيرهما، وساهموا في بناء حضارة عربية إسلامية أمازيغية في الأندلس، استمرت

زهاء ثمانية قرون في ظل التسامح والتعايش والتقدم والازدهار حتى تبدلت أحوال المسلمين، ومالوا إلى الترف والتقاعس عن الجهاد، واستحبوا القيان والمجون، ومالوا إلى التفرقة خاصة في عهد ملوك الطوائف؛ مما أدى بهم الأمر إلى التشتت والانهيار وسقوط إمارات الأندلس كلها إمارة تلو أخرى. وقد قيل الكثير عن عزل طارق بن زياد من قبل موسى بن نصير، فهناك من أرجع الأمر إلى أن طارق بن زياد لم يلتزم بخطة بن نصير العسكرية، فغامر بجيشه أثناء فتوحاته وتوغل به في أعماق إسبانيا دون أن يستشرف طارق عواقب هذه المغامرة الجريئة بشكل جيد. وهناك من اعتبر هذا العزل غير عادل بسبب الحسد الذي كان يستشعره موسى بن نصير تجاه طارق بسبب نجاح مولاه في فتوحاته وما اكتسبه من شهرة جعلته ذا نفوذ كبير بين قومه. وفي هذا الصدد يقول الباحث المغربي الدكتور إبراهيم حركات: "وإذا كان موسى بن نصير قد حسد طارقا على ما حصل عليه من فتوح وغنائم، حتى إن الأمر أدى به إلى اعتقاله، فإن هذا لم يحرك ساكنا، مع ما كان يتمتع به من نفوذ بين قومه. وقد قيل إن موسى كان قد أوصاه بعدم تجاوز قرطبة في فتوحاته فلم يمتثل.... والواقع أن موسى بن نصير قد أساء إلى طارق باعتقاله، والتنكيل به، بيد أن عمله هذا ليس إلا حلقة من سلسلة المساوئ التي ارتكبها الولاة الأمويون ضد البربر في المغرب... ومهما كان من معاملة الأمويين للبربر، فإن هؤلاء قد أخلصوا للإسلام، وبفضلهم استمر الحكم الإسلامي للأندلس ثمانية قرون."[1] ولكن الدكتور علي محمد الصلابي له رأي مخالف لما ذهب إليه الدكتور إبراهيم حركات وأمثاله من الدارسين: "أما ما تواتر في كتب التاريخ العربي من أن موسى ما كاد يسمع بأخبار الفتح حتى أكل الحسد قلبه، وقرر أن ينال هو الآخر نصيبه من شرف الفتح، وأنه أساء معاملة طارق وضربه بالسوط فليس بصحيح، إذ لا يعقل أن يصدر مثل ذلك عن تابعي جليل وفاتح عظيم كموسى، ثم إن طارقا كان مولى موسى، يعمل بأوامره وينفذها نصا وروحا، وكان يكتب إليه أخبار الفتح أولا بأول، فلو أن موسى حسد طارقا أو أساء الظن به

لاستطاع إزاحته من طريقه، وذلك بعزله واستدعائه إلى القيروان، ولا يستطيع طارق مخالفة أوامر موسى في شيء.

إن كل الدلائل تشير إلى أن طارقا كان مثالا للطاعة والنظام... ولعل أوضح دليل على أن موسى قدم الأندلس لمعونة طارق لا لتأديبه، وأن موسى قدم الأندلس لأغراض عسكرية بحتة، وأن موسى لم يذهب للقاء طارق بعد نزول أرض الأندلس وإنما انصرف إلى فتح كبار البلاد الجنوبية والغربية التي خلفها طارق دون فتح، وذلك لحماية جناح طارق الأيسر من جهة، ولتدعيم قواعد الفتح المتقدمة في الأندلس ولتشتيت قوات العدو بإشغالها في جبهات عديدة بقوات المسلمين الضاربة، فلما تم له ذلك سار موسى إلى طارق ولقيه في طليبرة على مقربة من طليطلة وحين التقيا قال موسى لطارق:" يا طارق إنه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يمنحك الأندلس، فاستبحه هنيئا مريئا"، فقال طارق: "أيها الأمير! والله لا أرجع عن قصدي هذا ما لم أنته إلى البحر المحيط أخوض فيه بفرسي"، ولم يزل طارق يفتح ومعه موسى إلى أن بلغ جليقية وهي على ساحل البحر المحيط."[1]

هكذا، يتبين لنا أن سلوك موسى بن نصير مع طارق بن زياد كان سلوكا سمحا وعادلا ينم عن دماثة أخلاق القائد العربي الجليل وحسن معاملته لطارق بن زياد مولاه المغربي، كما أن السياسة العسكرية تستوجب في الكثير من الأحيان التروي والتمهل والتعقل وعدم المغامرة، وتنفيذ أوامر السلطات العليا وترجيح مصلحة الأمة على المصلحة الخاصة، حتى ولو افترضنا أن هناك عزلا بالفعل، فلن يكون ذلك القرار إلا لأسباب عسكرية وقيادية.

٣- الخطيب :

قال طارق بن زياد خطبة رائعة أثناء فتحه للأندلس بعد أن أحرق الأجفان والسفن التي حملتهم إلى الجبل المسمى باسمه (جبل طارق) قطعا لأملهم في الهروب والرجوع والفرار، وتحفيزا لهم على المواجهة والمقاتلة ومحاربة العدو .[2]

وبذلك تكون خطبة طارق بن زياد أقدم نص أدبي نثري وصل إلينا في الأدب المغربي. ومن ثم، يكون طارق بن زياد أول أديب أمازيغي متعرب أرسى دعائم الأدب المغربي ووطد أسسه الفنية والجمالية على مرتكزات أسلوبية آية في الروعة والبيان والتصوير الفني. ويقول عباس الجراري في هذا السياق: "وربما اعتمد الذين يقولون بوجود أدب في المغرب لأول عهده بالإسلام على الخطبة المشهورة التي ألقاها طارق بن زياد في الجيش المتوجه لفتح الأندلس. والحق أن الباحثين وقفوا بشأن هذه الخطبة مختلفين... ويذهب والدنا حفظه الله إلى أن جند طارق "كان في مجموعه يدرك مدلول ما احتواه الخطاب الحماسي العربي، وهو ما هو علوا في البيان والروعة والسمو يجعلنا نومن بأن برابرة المغرب لذلكم العهد الإسلامي الفتي كان لهم إلمام واسع ومعرفة لا تقصر عن فهم أمثال هذا الخطاب الحربي البليغ الذي حول فزعهم ثباتا وشجاعة واضطرابهم يقينا وصمودا".[1] ولما سمع الجيش خطبة طارق "أثرت فيه تأثيرها البليغ المشهود في اندفاعه إلى حومة الوغى، وتهافته على الموت بإيمان وحماس. فكيف يفسر هذا بغير سرعة انتشار العربية، كالسرعة التي انتشر بها الإسلام؟ "[2]

ثانياً : **خطبة طارق بن زياد نصها؟ ظروفها؟** :

ا- نص الخطبة :

أ- قديماً : هل إن الخطبة المنسوبة الى طارق أمر مسلم به ..؟ الافضل ايراد نصها كما أوردها المقرئ التلمساني في كتابه " نفح الطيبً من غصن الاندلس الرطيب " .[3] والتى ينقلها عن ابن خلكان.

"أيها الناس: أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر. واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام. وقد استقبلكم عدوكم بجيشه، وأسلحته وأقواته موفورة. وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم. وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا، ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم

الجراءة عليكم. فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة. وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لنفسكم بالموت وإني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة، ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس (من غير أن) أبدأ بنفسي. واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفى من حظي. وقد بلغتكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنات اليونان، الرافلات في الدر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان. وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا. ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم. والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين. واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم "لذريق" فقاتله إن شاء الله تعالى فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه وان هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فإنهم بعده يخذلون .وقد أوردها بنصها المذكور ابن خلكان (٦٠٨ ـ ٦٨١هـ)في وفيات الأعيان[1] كما إن أقدم نص أندلسي توجد فيه إشارة إلى خطبة طارق مع سطور قليلة منها ـ بعد التقدم على أنها كل الخطبة ـ لعبد الملك بن حبيب (٢٣٨هـ =٨٥٢م) هو: ((فلما بلغ طارقآ دنوُه منه قام في أصحابه فحمد الله واثني عليه ،ثم حض الناس على الجهاد ، ورغبهم في الشهادة ، ثم قال : "أيها الناس: أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم ؟فليس لكم والله إلا الصدق والصبر،ألا واني صادم الى طاغيتهم بنفسي،لاأقصر حتى أخالطه أو أقتل دونه))[2]

فهل يمكن أن تكون الخطبة مقحمة في نص عبد الملك بن حبيب منقولة عن ابن خلكان أو غيره ،من إضافة الناسخ الذي اختصر هذا النص ، وكانت المصادر المشرقية معتمدة . وإلا أفلس مستغربا ألا ترد غيره من كتاب الأندلس الذين وصلتنا كتابتهم .؟

كما أورد علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي (القرن الثامن الهجري)خطبة طارق ـ أولها ،مع اختلاف في كتابه : (تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس): ((فاقتتلوا ثلاثة أيام أشد قتال ، فرأى طارق ما الناس فيه من الشدة ،فقام يعظهم ويحضهم على الصبر ، ويرغبهم في الشهادة ،وبسط في امالهم.ثم قال: ((أين المفر ، البحر من ورائكم والعدو أمامكم، فليس الا الصبر منكم والنصر من ربكم . أنا فاعل شيئا فافعلوا كفعلي، والله لأقصدن طاغيتهم فإما أن أقتله وإما أن أقتل دونه)) .وهذا النص شبيه بنص ابن حبيب السابق[1] .

إن تعرض القليل جدا من مؤرخينا الأندلسيين المتأخرين ـ دون المتقدمين ـ للخطبة قد يشير إلى عدم شيوعها وعدم معرفة المؤرخين لها ، وهو أمر يقلل أو يمحو الثقة بواقعيتها .

كما أورد ابن قتيبة (٢٧٦ هـ =٨٨٩م) وهو مشرقي ، في (الإمامة والسياسة) خطبة لطارق والتي يقول فيها : ("أيها الناس: أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، فإنهما لايغلبان ،وهما جندان منصوران ، ولا تضر معهما قلة ، ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة . أيها الناس ،ما فعلت من شيء فافعلوا مثله ،إن حملت فاحملو ، وإن وقفت فقفوا ، ثم كونوا كهيئة رجل واحد في القتال ،الا وإنى عامد إلى طاغيتهم ،بحيث لا أتهيبه حتى أخالطه أو أقتل دونه ، فإن قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ، ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ريحكم ،وتولوا الدبر العدو كم ،فتبد دوا بين قتيل وأسير . وإياكم إياكم أن ترضوا بالدنية ، ولاتعطوا بأيديكم ، وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة ، والراحة من للمهانة والذلة ،وما قد أجل لكم من ثواب الشهادة ،

فإنكم إن تفعلوا ، والله معكم ومعيذكم ، تبوءوا بالخسران المبين ، وسوء الحديث غدا بين من عرفكم من المسلمين. وها أنا ذا حامل حتى أغشاه ،فاحملوا بحملتى ،فحمل وحملوا) وهذه الخطبة هى أقصر من السابقة وقليلة الشبة به في حين لم تذكر المصادر الأندلسية ، لاسيما المبكرة ،هذه الخطبة .[1]

تتسم خطبة طارق بن زياد بروعة الأسلوب ونصاعة البيان وتنوع الأساليب وانتقالها من الخبر نحو الإنشاء، ومن الإنشاء الطلبي إلى الإنشاء غير الطلبي. ويعتمد طارق بن زياد في نصه الخطابي هذا على الحجاج الإقناعي والتصوير البلاغي وأسلوب الترغيب والترهيب للتأثير في نفوس مخاطبيه وإقناعهم بضرورة الدفاع عن أنفسهم ومقاتلة الأعداء حتى يتحقق النصر لنشر الإسلام في ربوع الأندلس قاطبة. وتشبه هذه الخطبة في خصائصها الجمالية الخطبة الأموية في استرسالها وبلاغة أسلوبها وسحر كتابتها وجمال ألفاظها وعذوبة بيانها.

ب- حديثاً : قد وقف عدد من الباحثين بالدراسة المتأنية لنص الخطبة التي يتسرب الشك في صحة نسبتها الى القائد طارق بن زياد ومهم (الدكتور أحمد هيكل في كتابة (الادب الاندلسي سنة ١٩٥٨ ،و الدكتور عبد الرحمن علي الحجي في كتابة (التاريخ الاندلسي سنة ١٩٧٦). كما أوردها الأستاذ والباحث المغربي عبد الله كنون ونقحها في كتابه " النبوغ المغربي في الأدب العربي

٢- ظروف الخطبة :

أمّا الظرف الذي قيلت فيها الخطبة فهو كما ذكر ابن خلكان والمقري، أنَّ طارق بن زياد لّما استقر بأرض الأندلس، وبلغ دنوّ لذريق منه قام في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم حثَّ المسلمين على الجهاد ورغّبهم في الشهادة، ثم قال: "أيها الناس، أين المفر..."[2]. أمّا ابن هذيل الأندلسي، وهو من أهل القرن الثامن الهجري، الثالث عشر الميلادي، فأورد لنا رأياً آخر عن الظرف الذي قيلت فيه الخطبة، خالف فيه ابن خلكان والمقري، وغيرهما من المؤرخين، فقال: "... فاقتتلوا ثلاثة أيَّام أشد قتال، فرأى طارق ما الناس فيه من الشدة، فقام يعظهم ويحضهم على الصبر ويرغبهم في

الشهادة ثم قال: أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم..."[1] ومهما يكن من أمر فإنَّ الظرف الذي قيلت فيه الخطبة هو فتح الأندلس، ولا يهم أكان ذلك قبل بدء المعركة الفاصلة أم أثناءها. لقد عاشت الخطبة في المصادر المغربية والمشرقية التاريخية والأدبية، كتاريخ عبد الملك بن حبيب [2] ، المتوفى سنة ٢٣٨ هـ/ ٨٥٢م والإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة [3] ، المتوفى سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م، وسراج الملوك للطرطوشي [4] ، المتوفى سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م، وريحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب لأبي محمد عبد الله المواعيني الإشبيلي [5] ، عاش في عصر الموحدين، ووفيات الأعيان لابن خلكان [6] ، المتوفى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م، وتحفة الأنفس وشعار أهل الأندلس لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل [7] ، وهو من أهل القرن الثامن الهجري، ونفح الطيب للمقري [8] ، المتوفى سنة ١٠٤١هـ/١٦٣١م. وقد وردت الخطبة في هذه المصادر بنصوص متشابهة حيناً ومختلفة حيناً آخر، ولكنّها نالت شهرتِها بفضل ابن خلكان الذي نقل حرفيات الخطبة عن مصدر لم يذكره، ثمَّ أخذها عنه المقري، فأورد لنا نصّاً "منقحاً ومشذباً" عما كان يتناقله المؤرخون والكُتّاب في تآليفهم ومصنّفاتِهم خلال عَصرِه من أخبار تتعلق بالإطار البنائي والأدبي للخطبة دون مناقشتها وتحليلها [9]. وقد اتخذنا نص "نفح الطيب" أساساً للدراسة باعتباره من أكمل النصوص التي وصلت إلينا، وإنْ كان اختلافُ النصوص في المصادر القديمة يدعو إلى الاعتقاد بأنَّ الخطبة قد أدخلت عليها تعديلات وإضافات من قبل الأجيال اللاحقة حتى انتهت إلى الشكل الذي هي عليه الآن.

ثالثاً : **تحليل الخطبة** ، **أقسامها** . **أسلوبها** ، **معانيها** :

ا- عنوان الخطبة : تُعرفُ هذه الخطبة في الكتب المدرسية باسم "خطبة طارق بن زياد" أو "خطبة طارق في الترغيب في القتال"[10] ، وليس هذا العنوان جُزْءاً أصيلاً في الخطبة، وإنَّما هو عنوان وضعه لها، اجتهاداً، بعض المنتقين للتمييز بينها وبين خطب الآخرين، وهذا يعني أنَّ هؤلاء المنتقين قد أقرّوا أنَّ لطارق خطبة واحدة،

ونحن لا نشاطرهم الرأي في ذلك، لأنّنا نعرف أنَّ ما وصلنا من مصادر قديمة قليل جداً، وأنَّ ما وصلنا فيها من أخبار ونصوص ليس غير جزء ضئيل مِمَّا كنا ننتظر وما زلنا ننتظر أن يأتينا يومٌ يُكشفُ فيه النقابُ عن تراثنا الدَّفين، ولعلّنا نكتشفُ عندئذٍ أنَّ لطارق خُطباً أخرى وأشعاراً أخرى، كما ذكرت بعض المصادر [1]. ومن هنا جاءت بادرتُنا، في التفكير في وضع عنوان لخطبة طارق، هذه، حتى نُميزها من غيرها من الخطب المتناظرة من ناحية، وحتى نبيّن بأنَّ العنوان هو ذاكرة النص ورأسه المفكر من ناحية ثانية، ونرى بأنَّ العنوان المناسب لخطبة طارق، هو: "خطبة الفتح" على غرار "خطبة الوداع" للرسول الأعظم محمد .

٢- **نوع الخطبة :** تعدُّ خطبة طارق بن زياد هذه من عيون الأدب العربي، وهي من أروع الخطب الحربية التي عرفها التاريخ، وهي من النوع الحماسي والحض على الجهاد.

٣- **هدف الخطبة :** هدف الخطبة الأساسي هو تحريض الجُنْد على القتال وبعث الحماس في نفوسهم، وحثهم على الصمود والثبات لمواجهة العدو والانتصار عليه.

٤- **أقسام الخطبة ومضمونِها :** تخلو هذه الخطبة من أيّ شكل من أشكال المقدمات، إذ يتناول طارق الموضوع مباشرة، ويشتمل على ثلاثة مقاطع متتالية تكوّن فيما بينها وحدة في الموضوع (الحث والتحريض على الجهاد).

المقطع الأول: (الترهيب) / ويبدأ بـ(أيها الناس، أين المفر؟..) وينتهي بـ(إلاَّ وأنا أبدأ بنفسي).

وقد وجّه فيه طارق الخطاب إلى أصحابه، ورسم لهم صورة عامة للظروف التي هم فيها، مما يفرض عليهم الصمود والثبات لمجابَهة العدو، وقد اعتمد في ذلك على المقابلة بين وضعيتهم ووضعية أعدائهم، فالمسلمون محاطون بالبحر الذي خلفوه وراءهم، وبالعدو الذي يزحف نحوهم، وقد شبّههم في وضعهم هذا بالأيتام

الضائعين في مأدبَة اللئام، لا سند لهم ولا معين إلا سيوفهم، ولا قوت إلاَّ ما يستخلصونه بأنفسهم من أعدائهم الذين يتوافرون على جيشٍ جرّارٍ، وأسلحةٍ كثيرةٍ، وأقواتٍ موفورةٍ، ثم حذّرهم من خطورة النتائج، إنْ طالت بهم الأيام وهم على هذا الوضع، ولم ينفّذوا ماهم بصدده من القضاء على عدوهم، الذي يمكن أن ينقلب خوفُه منهم جرأة عليهم ٤٠ ، أي: أنَّه جعل جنوده في موقفٍ حرج لا مجال فيه إلاّ للموت أو الاستماتة في القتال، وجعل نفسه مثالاً حيّاً يتقدم صفوف المجاهدين[١].

ولقد لجأ في خطبته إلى العقل أوّلاً دون العاطفة عندما وضع جنوده في الإطار الحقيقي بعد إحراق سفنه٤١ ، وحين يسيطر العقل على العاطفة في الخطبة تغيبُ الصور عن الساحة، ويتوقف الخيال عن التّدخل... فحديث العقل هامسٌ هادئ، أمَّا حديث العاطفة فحديث قارعٌ ضاجٌّ يستثيرُ النّوازع البدائية في النفوس كما تستثيرها الطبول بأصواتِها القوية المدوية[٤٢].

المقطع الثاني: (التّرغيب) / ويبدأ بـ(واعلموا أنّكم إن صبرتم على الأشق قليلاً)، وينتهي بـ(والله تعالى ولي إنْجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين).

وبعد أنْ فصّل في جانب الترهيب، عمد إلى الترغيب، ليبث في نفوس جنُودِه مزيداً من الحماس، فحثهم على الصمود والجهاد، وأوصاهم بالصبر على مشاق الحرب مدة قصيرة ليستمتعوا بثمار النصر زمناً طويلاً، ولينالوا رضى الخليفة (الوليد بن عبد الملك) الذي اختارهم من أبطال العرب والمسلمين لفتح تلك الجزيرة، رغبة منه في أنْ يكون حظه منهم ثواب الله عزّ وجلّ على إعلاء كلمته وإظهار دينه في هذه الأرض، وهو يعدهم بأنَّ ما يُحْرِزُونَهُ من غنائم في الحرب حق خالص لهم لا يشاركهم فيه أحدٌ، لا الخليفة، ولا غيرُه ممّن لم يحارب معهم، ثم ذكرّهم بأنّ الله سبحانه وتعالى سيكون في عونِهم على هذا العمل الصالح الذي سيكسبهم ذكراً حسناً في الدارين. أمّا الفقرة التي وضعناها بين حاضنتين (في نص الخطبة)، فإنَّنا نرتاب في نسبتها إلى طارق، ونعتقد أنّها من وضع بعض المستعربين (المستشرقين) الحاقدين على الإسلام والمسلمين وتدبيجهم، لأن ما ورد فيها لا يتلاءم والروح الإسلامية العالية

التي يتميز بها الفاتحون الأوائل من أمثال طارق بن زياد، فالفارق واضح بين لغة الخطبة كلها، ولغة هذه الفقرة التي يُغري طارق فيها جنوده بفتيات الأندلس وبالحور من بنات اليونان (ولسنا ندري لماذا اليونان؟) اللائي يرفُلن باللآلئ والمرجان، وهن بنات الملوك والأمراء (كما زعموا).

فهي فقرة شاذة طغى عليها السجع طغياناً لم نَجِدْه في سائر الخطبة من ناحية وانحَطّت لُغتُها في الوقت نفسه إلى درك لا يمكن أنْ نظنَّ معه أبداً أنّها وبقية أجزاء الخطبة من عمل واحد. إلى جانب ما جاء فيها من التناقض في المعاني، وفي الأسلوب، ومن مخالفتها لحقائق تاريخية، كإقحام كلمة "اليونان" في الفقرة، في حين أنَّ المؤرخين الأندلسيين قد اعتادوا على استعمال كلمة "الروم" أو "القوط" وكذلك اصطلاح "العلوج والعجم أو المشركين والكفار"٤٤. وفضلاً عن ذلك فإنَّ المؤرخين العرب القدماء الذي ينتمون إلى أزمنة مختلفة، وأمكنة متباعدة تجاهلوها، وكأنَّها شيء لا أصل له في الخطبة، فلم يثبتها أحد من المؤرخين الأوائل، أمثال: عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٨هـ/٨٥٢م). صاحب كتاب "مبدأ خلق الدنيا"، المعروف بتاريخ ابن حبيب، وابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ/٨٨٩م) صاحب كتاب "الإمامة والسياسة"، والطرطوشي (ت ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦م) صاحب كتاب "سراج الملوك"، وغيرهم. وأوّل من أورد هذه الفقرة في الخطبة هو ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م). صاحب كتاب "وفيات الأعيان". ويبدو أنَّ الفقرة قد أضيفت إلى الخطبة بعد عصر ابن خلكان عندما استولى الصليبيون على بلاد المسلمين وعبثوا بتراثهم... وإذن، فلابد من الوقوف وقفة شكّ كبير أمام هذه الفقرة " ومما يزيد هذا الشك رسوخاً تلك الحقيقة التاريخية التي عُرفت عن الجيوش الإسلامية عامة ـ ولاسيما في تلك القرون الأولى من حملات الإسلام ـ وهي أنَّ هذه الجيوش لم تكن تغزو للغزو وللغنائم التي ينالها الغزاة عادة، بل كانت تغزو في سبيل فكرة وعقيدة"٤٥. وهذه الحقائق التّاريخية، لا تُعجبُ الصليبيين الحاقدين على الإسلام والمسلمين، فعملوا ما في وسعهم على تشويه

التاريخ الإسلامي المجيد بجوانبه المتعددة، تارة بالزيادة، وطوراً بالحذف، ولكن (يُريدُونَ لِيُطفِئوا نُورَ الله بأفواهِهم والله مُتِمُّ نُورِهِ ولو كَرِهَ الكَافِرُونَ٤٦.

المقطع الثالث:(إبراز خطته الحربية في المعركة) / ويبتدئ بـ(واعلموا أني أوّلُ مجيب إلى ما دعوتكم إليه)، وينتهي بـ(فإنّهم بعده يخذلون).

وبعد أنْ تناول جانب الترغيب مركزاً على الجانبين المادي والمعنوي معاً، انتقل إلى إبراز خُطَّته الحربية في المعركة التي يقبل عليها، واضعاً كل الاحتمالات الممكنة أمام أعينهم تجنّباً للاضطراب أو تصدّع الصفوف في حالة استشهاد القائد، وقد أعلن عن خطته في اللحظات الحاسمة قبل نشوب المعركة، مما يدلُّ على حنكته وبعد نظره ٤٧، ثم أخبرهم بأنّ قتل لذريق ملك الأعداء سيسهل مهمة فتح الأندلس، لأن قومه سيخذلون بعد قتله، وقد اتخذ نفسه قدوة لجنده عندما تكفل هو بنفسه بقتل لذريق، وقال لهم: فإنْ متُّ بعد قتل الطاغية فقد كفيتكم شره، عندئذٍ تستطيعون إسناد أموركم إلى بطل عاقل يخلفني في قيادتكم.

٣- الأسلوب :

الأسلوب في هذه الخطبة، هو أسلوب الخطابة بشكل عام، يمتاز بالقوة والجزالة، وبالإيجاز والفصاحة، وبتماسك الجمل، والبعد عن الحشو والمبالغة وتكلف ما لا طائل تحته، وهو أسلوبٌ عربيّ النّسج، خالٍ من أية عجمة تشينه، أو غرابة وتعقيد يزريان به، ويحطان من قدره، وهو فوق هذا بعيد عن المحسنات البديعية المتكلفة الممقوتة (باستثناء الفقرة الشاذة المضافة المشار إليها سلفاً)، والسجع الموجود في الخطبة من السجع القصير الفقرات الذي لا ينبو عنه الذوق، ولا تَمجُّه الأسماع، لأنَّه خال من كلّ مظاهر الصنعة والتكلف والخطبة في الجملة، تجري على طبيعتها، وعلى هدى معانيها فجملها قصيرة وقوية، متينة السبك، جميلة الصياغة، فلا نجد لفظة مقحمة في غير مكانِها.

٦- العاطفة :

تزخر الخطبة بالعواطف الدينية الصادقة، وتظهر عاطفته الدينية واضحة في هذه الخطبة وتتجلى في اهتمامه بالجانبين الروحي والمادي معاً، وفي سعيه إلى الاستشهاد بإيمان كبير وروح عالية، وحث قومه على الجهاد، كما تتجلى العاطفة الطينية في الجمل الدعائية التي تتخلل الخطبة، وفي بعض المعاني التي يستمدها من القرآن الكريم [١]. وعاطفة طارق تتدفق بحب الجهاد والتوق إلى النصر، ولا ريب أنّها عاطفة صادقة قوية، ولولا ذلك ما أحدثت انفعالاً وأثراً قويين في نفوس الجند.

٧- المعاني :

معانيه واضحة سهلة، بعيدة عن العمق والتكلف خالية من الصور الفلسفية، ولكن الروح الدينية، تعمُّ معاني الخطبة، فنلحظ تأثر طارق بأفكار القرآن الكريم والحديث الشريف، ولاسيما حين يتحدث عن الأثر النفسي للتقاعس واحتمال تجرؤ العدو عليهم بعد جبنه أمامهم، ثم حين يغريهم بالألذ والأرفه بعد الأشق القليل، وكأنّه يقيس تلك المكافأة الدنيوية على العمل الطيب بمكافأة الآخرة على الدنيا [٢].

٨- الخلاصة :

في ختام تحليل الخطبة، بإمكاننا أنْ نسجل الملاحظات الآتية :

أ ـ إنَّ مجمل الروايات العربية والإسلامية، قد أشادت بهذه الخطبة، ونوَّهت بما كان لها من أثر في إذكاء شجاعة الجند، وتَمتين الثقة في نفوسهم لتحقيق الانتصار والظفر بِهذه الجزيرة [٣].

ب ـ تفكير طارق من خلال هذه الخطبة تفكير سليم، فهو يجيد التعليل والتدليل، ويحسن تقديم الحجج والبراهين.

ج ـ له ذكاء متوقدٌ، يسبرُ أغوار النفس البشرية، ويعرفُ ما يدور في أذهان المستمعين، فيخاطبهم حسب عقولهم.

د ـ له مخيلةٌ نشيطةٌ، وإحساسٌ مرهفٌ، فمخيلته تُجسّمُ الأفكار، وتصنع الخطط، وتصوّر المواقف، وإحساسُه يتلقى التأثيرات ويعكسُها لجُنودِه، وما فعله مع جنوده

حين جعل نفسه مثالاً حياً يتقدم صفوف المجاهدين يذكرنا بالقول المأثور: "إذا أردت أن تبكيني فابدأ أنت بالبكاء".

هـ ـ وكانت ثقتهُ في نفسه وفي جيشه كبيرةً، وكان جريئاً في آرائه، رابط الجأش في موقفه.

و ـ كما كان صادقاً مع جنوده لا يراوغ ولا يخاذل.

ز ـ وتعدّ هذه الخطبة، أوّل ريح معطرة بالبلاغة تَهبُّ على أرض الأندلس [1].

ح ـ وقد التزم فيها بلازمة الخطبة (أيها الناس)، كما التزم بالإيجاز، إذ لا إطناب، لأنَّ الظرف غير مناسب لذلك والإيجاز يطلب في ثلاث حالات (الحروب، والتهنئة، والتوصية).

ط ـ وجملة القول: إنَّ خطبة طارق بن زياد، في مجملها جيدة من حيث قيمتها الفنية، وهي تدل على رسوخ ملكة البيان في القواد وخبرتِهم بالقيادة ونفوس الجند٥٢.

المبحث الثاني

خطبة طارق بين الشك واليقين

أثارت خطبة طارق بن زياد الرائعة في البلاغة والفصاحة ردود كثير من الباحثين والدارسين بين مدافع عن نسبة الخطبة إلى صاحبها لكونه مؤهلا لذلك وقادرا على الإتيان بها مادام قد تربى في بيوت العرب والإسلام في المشرق قبل أن ينتقل إلى المغرب، كما أنه كان متأثرا كثيرا بالإسلام والبيان العربي على غرار الكثير من البربر الذين اندمجوا مع العرب في بوتقة حضارية عربية إسلامية واحدة،وبين رافض للخطبة بسبب بربرية صاحبها واستحالة أن يأتي طارق بهذه الخطبة التي يعجز عن الإتيان بها حتى العرب الفصحاء وفطاحل البلاغة والبيان، بله عن كونه حديث الإسلام وتعلم اللغة العربية مع بداية الفتوحات الإسلامية. هذا، ويعد شكيب أرسلان أول من أشاد بخطبة طارق بن زياد وبيانها وبلاغتها التي يصعب على البلغاء العرب أن يجاروه في فصاحتها وروعة أسلوبها وصورها الفنية المؤثرة،

بيد أنه أول من شكك في هذه الخطبة اعتمادا على بربرية طارق وانتمائه إلى السلالة الأمازيغية، يقول شكيب أرسلان في هذا الصدد:"[1]

ونبغ فيهم (أي البربر) العلماء والخطباء بالعربية الفصحى، وحسبك شاهدا طارق بن زياد الذي خطب قبل الموقعة التي هزم فيها لذريق ملك الأندلس، تلك الخطبة الطنانة التي لو حاول مثلها قس بن ساعدة، أو سحبان وائل، لم يأت بأفصح ولا بأبلغ منها، هنا لغز من ألغاز التاريخ لا ينحل معناه بالسهولة فقد اتفقت الروايات على كون طارق بن زياد بربريا قحا، وكذلك اتفقت الروايات أيضا على كونه هو لا غير صاحب الخطبة الرنانة المعدودة من أنموذجات الخطب العربية فكيف يمكن التلوفيق بين هذين الأمرين المتناقضين، وأنى لطارق البربري مثل هذه العربية، فلعل طارقا أحسن تعلم العربية كما أحسن ذلك كثير من أبناء جيله، وكما تعلمت العربية رجال فارس حتى بزوا في العربية أقرانهم العرب فيها، ولكني لم أكن في راحة بال من جهة إتقان طارق للعربي الفصيح وبلوغه فيه هذه الدرجة العليا، وكان يحز في صدري أن تلك الخطبة قد تكون بلاغيتها في المعنى، وإنما وضعها رواة العرب في هذا القالب الفصيح الذي سحر الألباب، ومازلت مترددة في هذا حتى جاءني ثلج اليقين على يد الأستاذ عبد الله كنون الذي جزم بأن هذه الخطبة النادرة إنما كانت من جملة ثمرات انطباع البربر بالطابع العربي البحت. لقد اختلف الدارسون بشأن هذه الخطبة وبشأن الأبيات التي قالها طارق بن زياد في الفتح، وأوردها المقري في النفح نقلاً عن الحجاري في "المسهب" وابن اليسع في "المغرب"[2] فاختلفوا في نسبة هذين النصين إليه، فوقف بعض الباحثين وقفة شك في نسبة الشعر والخطبة إليه وأثبتهما له باحثون آخرون، وسنتناول آراء هؤلاء في هذه الخطبة ونسبتها إلى طارق، ثم نبين بطلان هذا الشك.

أولاً : الشاكون في الخطبة :

يشك عبد الله عنان صاحب كتابه "دولة الإسلام في الأندلس" في خطبة طارق بن زياد، لأنها لم ترد في المصادر التاريخية الوسيطة:" واساغ الارتياب في نسبة هذه الخطبة إلى طارق، ن معظم المؤرخين ولاسيما المتقدمين منهم لا يشير إليها، ولم يذكرها ابن عبد الحكم ولا البلاذري، وهما أقدم رواة الفتوحات الإسلامية، ولم تشر إليها المصادر الأندلسية الأولى، ولم يشر إليها ابن الأثير وابن خلدون، ونقلها المقري عن مؤرخ لم يذكر اسمه، وهي على العموم أكثر ظهورا في كتب المؤرخين والأدباء المتأخرين. وليس بعيدا أن يكون طارق قد خطب جنده قبل الموقعة، فنحن نعرف أن كثيرا من قادة الغزوات الإسلامية الأولى كانوا يخطبون جندهم في الميدان، ولكن في لغة هذه الخطبة وروعة أسلوبها وعبارتها ما يحمل على الشك في نسبتها إلى طارق، وهو بربري لم يكن عريقا في الإسلام والعروبة، والظاهر أنها من إنشاء بعض المتأخرين، صاغها على لسان طارق مع مراعاة ظروف المكان والزمان".[1] ولقد ولقد شك بعض المؤرخين في صحة هذه الخطبة ونسبتها إلى طارق، ويبدو أنَّ هذا الشك جاء أولاً من بعض المستشرقين الذين يشك في نياتِهم[2] (لأن "الاستشراق" و"الاستعمار" و"التبشير" ثلاثة أسماء لشيء واحد)، ثم حذا حذوهم بعض مؤرخي العرب، فشكوا هم بدورهم في نسبة الخطبة، ومن هؤلاء الدارسين الشاكين: الدكتور أحمد هيكل[3] والدكتور عمر الدقاق[4] ، والأستاذ محمد بن تاويت والدكتور محمد الصادق العفيفي[5] والأستاذ محمد عبد الله عنان[6] ، والأستاذ محمد حسن كجة[7] ، والدكتور عمر فروخ[8] ، والدكتور أحمد بسام الساعي[9] والدكتور سوادي عبد محمد[10] والدكتور عبد الرحمن الحجي[11] ، وغيرهم. غير أنه يكاد يكون الدكتور أحمد هيكل في كتابه (الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة) هو الأصل لمعظم الدراسات التي ظهرت بعده في هذا الموضوع، وعليه اعتمد الدارسون

الآخرون حيث نقلوا كلامه بتصرف، ولهذا سنورد رأيه دون الالتفات إلى آراء الآخرين.

كما إن هناك عوامل تاريخية وفكرية تنفي رواية ابن خلكان للخطبة ومنها :

١ـ عدم تلاؤم المعاني لتي جاءت في الخطبة . مع الروح الإسلامية العالية التي تحلى بها القائد وجنده . فليس في الخطبة إشادة بدوافع الفتح . والحث على طلب الشهادة .كما هو معهود في خطب الجهاد . إذ من غير المعقول ان يغري جنوده بالمغريات المادية . في مقام يستدعي بذل الأرواح في سبيل الله .

٢ ـ حداثة عهد طارق بالإسلام ،لا تتيح له هذه البلاغة والبراعة في الخطبة ،لاسيما ان اللغة العربية كانت جدية علية . فالغالب أنه بربري من نفزة . ويبدو أن أباه زيادا قد اسلم في ايام عقبة . وخلفه ابنه هذا فدخل في خدمة ولاة المسلمين وكان صغير السن حينما عهد إليه موسى بهذه المهمة الكبرى . لأننا لم نسمع به قبل ذلك في أي فتح .

٣ـ ترد في الخطبة معلومات تاريخية مغلوطة فقد جاءت كلمة (اليونان) وربما جاءت الكلمة خطأ لتحقيق السجع . والمعتماد أن يذكر (الرومان) أو (القوط) أو (العلوج) أو(العجم أو المشركين والكفار) في مثل هذا المقام ولو ذكر (الرومان) لانهم الجاز لانهم يمثلون عنصرا من عناصر المجتمع الاسباني .

٤ـ كذلك من الأخطاء التاريخية ما جاء من الوليد بن عبد الملك قد اختارهم(عربانا)والصواب تاريخيا أن الذي انتخبهم هو موسي بن النصير .اللهم ان كان ذلك مقصودا على سبيل المجاز ـ وأن نسبة البربر المشاركين في الفتح كانت عالية . وعدد الذين صبحوا جيش طارق بن زياد من العرب كان قليلا وقد صحبوهم من أجل تعليمهم مبادئ الإسلام .

وفي النص التالي من الخطبة ما يشير الى الأخطاء التي ذكرناها (وقد بلغتكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنات اليونان، الرافلات في الدر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان.

وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا.....)

وإما العوامل الفنية التي تتصل بأسلوب الخطبة والتي تنفي نسبة الخطبة إلى طارق فهي :-

١- ان الخطبة لا تنسجم في أسلوبها وخصائصها الفنية أن يكون طارق صاحبها ، لطولها من ناحية . ولاعتمادها على السجع المتكلف من ناحية أخري . فالصفة التي تتصف بها خطب القرن الأول الهجري هي الإيجاز، والتركيز، وأما السجع المتكلف فهو من خصائص ، القرون المتأخرة ، اتفق على ذلك الدارسون . وما يأتي من السجع في العصور الأولى يأتي عفو الخاطر ولا يكون متكلفا على نحو ما نجد في الخطبة .

٢- وأن الخطبة يفترض أن تتضمن اقتباسات قرآنية على نحو ما هو معروف في خصائص النثر في القرن الأول الهجري . لكنها خلت من ذلك خلوا تاما.

ثانياً : أسباب الشك في الخطبة :

من الذين يشكون في هذه الخطبة الدكتور أحمد هيكل، وتتمثل حيثيات شكه في الأسباب التالية :

١- إن طارق بن زياد كان بربريا مولى لموسى بن نصير ومن شأنه أن يكون حديث عهد بالعربية وألا يستطيع الخطابة والشعر بلغة هو حديث عهد بها.

٢- إن المصادر الأولى التي سجلت حوادث الفتح قد خلت تماما من أي حديث عن هذا الأدب مع أنها تناولت تفاصيل يدخل بعضها في باب الأساطير. وقد استوت في ذلك الصمت عن هذا الأدب المصادر الأندلسية والمغربية والمشرقية جميعا، ولم يرد هذا الأدب المنسوب إلى طارق إلا في بعض المصادر المتأخرة كثيرا عن فترة الفتح مثل نفح الطيب...

٣- الأسلوب الذي جاءت به لم يكن معروفا في النثر العربي خلال الفترة التي تعزى إليها تلك الخطبة فالسجع الكثير والمحسنات المتكلفة قد شاءت في عصر متأخر كثيرا عن القرن الأول.

٤- قوله لجنده وكانوا كي نعرف من البربر: (وقد اختاركم أمير المؤمنين من الأبطال عربانا). فطارق كان يعرف أن جنوده من البربر وجنوده كانوا يعرفون أنهم ليسوا عربانا. ومن هنا يبعد أن يكون قد خطبهم بهذا الكلام الذي لايقوله إلا غير عالم بحقيقة جيش طارق".[١]

ثالثاً : بُطلان هذه الأسباب بالدليل العقلي :

يبدو في كلام الدكتور أحمد هيكل ومن سار في فلكه مبالغة واضحة، ونحن نختلف معهم فيما ذهبوا إليه، ونرد عليهم بالحجة فيما يأتي :

أ ـ بالنسبة إلى السبب الأول، المتعلق بكون طارق بن زياد حديث عهد بالإسلام والعربية، وأنَّه لا يستطيع الخطابة بلغة هو حديث عهد بِها. يبدو أنَّ الذين رأوا هذا الرأي لم يدققوا النظر في حياة الرجل الذي كان على صلة بالعروبة والإسلام منذ حداثته، فقد ذكر لهُ ابن عذاري أبوين في الإسلام (طارق بن زياد بن عبد الله)[٢] ، وأغلب الظن أنَّه ليس هو الذي أسلم أوّلاً، بل والده وجدُّه الذي يكون قد سُبيَ في إحدى حملات الفتح الأولى وأخذ إلى (مصر) أو (الشام)، وهناك في ديار الإسلام نشأ طارقُ مسلماً، فأحسن العربية مع الاحتفاظ بلهجة أجداده البربرية، ثم جُنِّد بعد ذلك في إحدى حملات موسى بن نصير. وجاء مَعَهُ إلى المغرب[٣]. ولهذا يكون طارق قد أجاد العربية في المشرق، وبلغ من الفصاحة والبلاغة درجة عالية جعلته ينظم الشعر ويلقي الخطب. وإذن فطارق ليس حديث عهد بالإسلام والعربية، ولابد أنَّ نعيد النظر في هذه المسألة.

ب ـ أمّا بالنسبة إلى إهمال المصادر القديمة لهذه الخطبة، وظهورها في كُتُبِ المؤرخين والأدباء المتأخرين، على حدّ زعمهم، فهذا الأمر لا ينهض دليلاً على رفضها، لاسيما ونحن نعرف أنَّ ما وصلنا مِنْ هذه المصادر قليل جدّاً، وأنَّ ما وصلنا فيها من

أخبار ونصوص ليس غير جزء ضئيل مما كنّا ننتظر، وما زلنا ننتظر أنْ يصلنا يوم يُكشَفُ النّقابُ فيه عن تراثنا الدفين ثم إنَّ القول بإهمال المصادر القديمة لهذه الخطبة قولٌ مبالغ فيه، فقد فات الدكتور أحمد هيكل والأستاذ عبد الله عنان ومن حذا حذوهما أن يطلعوا على كتُب كثيرة ألفتْ قبل "نفح الطيب" ورَدَتْ فيها هذه الخطبة بنصوص متشابهة حيناً، ومختلفة حيناً آخر[1] ، وهي:

١ ـ تاريخ عبد الملك بن حبيب[2] المتوفى سنة ٢٣٨هـ.

٢- الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة [3] ، المتوفى سنة ٢٧٦ هـ.

٣ ـ سراج الملوك للطرطوشي[4] ، المتوفى سنة ٥٢٠هـ.

٤ ـ ريحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب لأبي محمد عبد الله المواعيني الإشبيلي[5] .

٥ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان [6] ، المتوفى سنة ٦٨١هـ.

٦- تحفة الأنفْس وشعار أهل الأندلس لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل [7] .

٧- أمّا صاحب نفح الطيب [8]، فقد توفي سنة ١٠٤١ هـ.

ج ـ أمّا بالنسبة لأسلوب الخطبة الذي لم يكن معروفاً في تلك الفترة، فالسجع والمحسنات البديعية، قد عاشت في عصر متأخر عن أواخر القرن الأول الهجري على حدّ رأيهم. لقد أشرنا إلى هذه المسألة عند حديثنا عن الأسلوب، وبيّنا بطلان هذا الزعم، فأسلوب الخطبة هو أسلوب الخطابة في ذلك العصر، بشكل عام، يمتاز بالقوة والجزالة، وهو فوق ذلك بعيد عن المحسنات البديعية الممقوتة، ما عدا الفقرة الشاذة التي يغري فيها طارق جنوده بفتيات الأندلس. فهي ليست من إنشاء طارق، وإنما أضافها بعض المستشرقين الحاقدين على الإسلام والمسلمين لتشويه التاريخ الإسلامي المجيد بجوانبه المتعددة، فالجيوش الإسلامية لم تكن تغزو من أجل الغنائم وإنما كانت تغزو في سبيل فكرة وعقيدة وقد سبقت الإشارة إلى ذلك. ولذا، فلا يمكن أنْ نظنَّ ـ كما ظنَّ هؤلاء الشاكون ـ لأنَّ هذه الفقرة وسائر فقرات الخطبة أجزاء من عمل أدبي

واحد، فالفارق واضح في الأسلوب، وفي المعاني، وفي مخالفتها لحقائق تاريخية أحياناً، كإقحام كلمة "اليونان" في الفقرة المضافة...

د ـ أمَّا الرد الرابع، فيتعلّقُ بكلمة (عربان)، فقد وردت في بعض النسخ بالزاي المعجمة (عزبان: جمع عزب)، وعلى هذا الوجه ينتفي الشك الذي استندوا إليه، لأنَّ معظم أفراد جَيْشيه الذي جهّز به حملته كان من برابرة المغرب[1]

لقد وردت هذه الخطبة المنسوبة إلى طارق في مصادر قديمة، مشرقية ومغربية، دون أن يتفطَّن إليها هؤلاء الشاكون، ولم يكن صاحب نفح الطيب أوّل من أوردها، على حدّ زعمهم. ونعتقد أنَّ هذا الوهم ناتج عن عدم التمحيص والتدقيق أثناء الدراسة، والاكتفاء بنقل الأحكام الجاهزة دون التأكد من صحتها أو خطئها، ودون إجهاد النفس بالعودة إلى المصادر القديمة للتوثق من صحة تلك الأحكام.

خلاصة القول

إننا لا ننكر انكارا قاطعا ، أن يكون طارق قد القى خطبة في جيشه قبيل العركة . بل نجد مثل ذلك طبعيا ومنسجما مع تقاليد الجهاد في الجيوش العربية الاسلامية ولكننا نرجح ان تكون خطبتة التي القاها غير الخطبة التي وردت في كتب المتأخرين. ولعل النص الذي أورده عبد الملك بن حبيب وهو من مؤرخي الأندلس الموثوق بهم هو الخطبة التي يمكن نسبتها الي طارق بن زياد والتي نصها:-((أيها الناس: أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر.الاواني صادم الى طاغيتهم بنفسي ،حتى أخالطه او أقتل دونه))

رابعًا : **المثبتون للخطبة** :

وإذا كان بعضُ الدّارسين قد شكّوا في صحة هذه الخطبة ونسبتها إلى طارق ـ كما رأينا ـ انطلاقاً من حجج نراها واهية، وفندناها، فإنَّ هناك باحثين آخرين رَدوا على من شك في صحتها، وتصدُّوا لإثبات صحتها ونسبتها، ومن هؤلاء الدارسين أستاذنا الدكتور عبد السلام الهراس الذي "أورد نصوص خطبة طارق من المصادر المختلفة التي أحصاها، وهي: نص ابن خلكان ـ نص الإمامة والسياسة ـ نص تحفة الأنفس

لابن هذيل ـ نص ريحانة الألباب للمواعيني ـ نص عبد الملك بن حبيب ـ نص الطرطوشي ـ نص نفح الطيب وهو المعروف المتداول، وقارن بينها، واستخلص منها ثلاث صور للنص مختلفة بعض الاختلاف ولا سيما في الصياغة هي:

أ ـ نص الإمامة والسياسة.

ب ـ نص ابن خلكان ونفح الطيب.

ج ـ نص ابن هذيل، وهو يجمع بين النصين السابقين.

وتوصل من خلال دراسته لهذه النصوص إلى إثبات صحتها"[1] . كما أثبتها الأستاذ عبد الله كنون[2] ، والعلامة شكيب أرسلان[3] ، والأستاذان: محمد الطيب وإبراهيم يوسف[4] ، والدكتور علي لغزيوي[5] والدكتور عباس الجراري الذي تناول نص الخطبة على أساس أنَها من الأدب المغربي "وأورد نصوصها من المصادر السابقة، وانتهى إلى إثباتِها مع الإشارة إلى بعض الشك حولها بسبب اختلاف النصوص، ولكنّه يرجّح أنَّها ليست من إنشاء طارق، وإنما كتبت له ليلقيها في الجيش"[6] وقد تناول السمات الفنية للخطابة في هذا العصر، فوازن بين خطب الأمويين بالمشرق وخطبة طارق من الناحية الفنية، وتوصل إلى النتائج نفسها المشار إليها آنفاً[7] .

ومن الذين يثبتون نسبة الخطبة لطارق بن زياد عبد الله كنون أثناء رده على دعوى شكيب أرسلان اعتمادا على أسباب ثلاثة: نشأته في بيت العروبة والإسلام في الشرق قبل انتقاله مع أبيه إلى المغرب، ثم إسلام الكثير من صحابة رسول الله (ص) من الروم والفرس والعجم وكانوا من كبار العلماء والفصحاء والبلغاء، كما أن خطبة طارق بليغة من حيث المعاني لامن حيث الصور والفنيات الجمالية، والمعاني كما قال الجاحظ مطروحة في الأسواق وإنما الاعتداد بالبيان وروعة المجاز والتخييل البلاغي وهذا ما لم يجده كنون في خطبة طارق، وأن هذه الخطبة يمكن لأي

متفقه في العربية أن يأتي بها:"يستشكل بعض الباحثين صدور خطبة طارق بن زياد منه وهو بربري قح،
يستبعد أن تكون له هذه العارضة القوية في اللغة العربية، حتى يأتي بتلك الخطبة البليغة. وهو استشكال في غير محله.

- لأن طارق بن زياد إن كان أصله بربريا فقد نشأ في حجر العروبة والإسلام بالمشرق، ولم يكن هو الذي أسلم أولا بل والده، بدليل اسمه زياد فإنه ليس من أسماء البربر، ولاشك أنه كان من مسلمي الفتح المغربي الأول، وأنه انتقل إلى المشرق حيث تولاه موسى بن نصير ونشأ ولده في هذا الوسط العربي الذي كونه وثقفه.
- لأن نبوغ غير العرب في اللغة العربية منذ اعتناقهم الإسلام أمرلا يستغرب من طارق، وهو قد نشأ في بيت إسلامي عربي. فعندنا سلمان الفارسي الذي قضى شطر حياته في بلاد عجمية فلما أسلم بعد ذلك تفتق لسانه بالعربية إلى أن قال فيها الشعر، وبيته مضروب به المثل في الاعتزاز بالإسلام واعتباره هو نسبه الذي يفخر به، إذ افتخروا بقيس أو بتميم، لا يخفى على أحد.ونمثل ببربري آخر، غير طارق وهو عكرمة مولى ابن عباس الذي قال فيه الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة؛ ومقامه في العلم والرواية لايجهل.
- لأنه ليس في الخطبة من صناعة البيان ما يمنع نسبتها لطارق، وبلاغتها في نظرنا إنما ترتكز أولا وبالذات على معانيها، والمعاني ليست وقفا على عربي ولا عجمي. نعم يمكن أن يكون وقع في هذه الخطبة بعض تصرف من الرواة بزيادة أو نقص، ونحن قد صححنا فيها بالفعل إحدى العبارات التي لم تكن واضحة الدلالة على معناها ولكن هذا لا ينفي أصل الخطبة ولا يصح أن يكون حجة للتشكيك في نصها الكامل."[1]

ومن الذين دافعوا عن هذه الخطبة وقالوا بنسبتها إلى طارق الدكتور عباس الجراري:" وأغلب الظن في كل هذه الأقوال مبالغة لاتنكر. أما بالنسبة لما ذهب إليه

الوالد وصاحب النبوغ فنحن نعرف أن البربر بمجرد أن اسلموا، أو بالأحرى أسلمت طائفة منهم، خرجوا للفتح من غير أن تتاح لهم أية فرصة- مهما كانت هذه الفرصة قصيرة- ليتعلموا اللغة العربية لدرجة تمكنهم من الخطابة بهذا الأسلوب الذي وردت به خطبة طارق.

وأما بالنسبة لصاحب "الأدب الأندلسي" وصاحب "دولة الإسلام" قبله فنحن لا نختلف معهما في أن طارق بن زياد لم يتح له من تعلم اللغة ما يسمح له بإلقاء تلك الخطبة، ولكنا نختلف معهما فيما بعد ذلك. فإهمال المصادر القديمة لهذا الأدب- إن كان هناك إهمال حقا- لا ينهض دليلا على رفضه، لاسيما ونحن تعرف أن ما وصلنا من هذه المصادر قليل جدا، وأن ماوصلنا فيها من أخبار ونصوص ليس غير جزء ضئيل مما كنا ننتظر أن يصلنا يوم يكشف النقاب عن تراثنا الدفين. ثم إن القول بإهمال المصادر القديمة لهذه الخطبة قول مبالغ فيه، فقد فات كلا من الأستاذين هيكل وعنان أن يطلعا على كتب كثيرة ألفت قبل "نفح الطيب" وردت فيها الخطبة بنصوص متشابهة حينا ومختلفة حينا آخر".[1]ويضيف عباس الجراري بأن أسلوب طارق بن زياد في خطبته لايختلف عن أسلوب خطباء الدولة الأموية، أما كلمة عربانا فقد يكون أصابها تحريف ويكون بمعنى عزبانا أو قد يكون بمعنى القواد العرب الذين جعلوا على رأس كل فرقة من الجيش.ويؤكد عباس الجراري في الأخير إثبات حقيقة هذه الخطبة تاريخيا إلا أنه يرجح أن تكون من إنشاء كاتب عربي سلمت لطارق ليلقيها على الفاتحين المسلمين:" والرأي عندي بعد هذا أن الخطبة ثابتة وإن كان اختلاف النصوص يدعو إلى الشك في هذا الثبوت، ثم إني أرجح أنها ليست من إنشاء طارق وإنما كتبت له ليلقيها في الجيش، وإنها في هذه الحالة من إنشاء عربي من الفاتحين يتقن الكتابة بل لعل مهمته كانت تقضي أن يكتب للجيش ولقائده. وليس هذا بغريب فقد كان مألوفا أن تكتب للأمراء والوزراء خطبهم ورسائلهم، بل مازلنا اليوم نرى المسؤولين على مختلف طبقاتهم يكتب لهم حين يريدون أن يخطبوا أو يراسلوا، سواء منهم من يعرف اللغة أو يجهلها. ونفي إنشاء

الخطبة عن طارق لايمس إسلامه ولا يطعن في عملية الفتح أو يشكك في حقائق التاريخ كما قد يظن".[1]

ومن المصادر التي وردت فيها الخطبة منسوبة إلى طارق تاريخ ابن حبيب المتوفى سنة ٢٣٩هـ، وكتاب " الإمامة والسياسة" لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ، وفي " سراج الملوك" للطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠هـ، وفي" ريحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب" لأبي محمد عبد الله بن إبراهيم المواعيني الأشبيلي وكان معاصرا للموحدين، وفي " وفيات الأعيان" لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ، وفي "تحفة الأنفس وشعار أهل الأندلس" لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل من كتاب القرن الثامن الهجري.[2] هذا، وقد ذهب المؤرخ الشامي شوقي أبو خليل إلى إثباتها، وعلق على هذه الخطبة قائلا: " يحلو لبعض المعاصرين التحذلق فقالوا: طارق بربري... فلا يعقل مطلقا أن يخطب خطبة محبوكة فصيحة مثل هذه الخطبة الرائعة، التي وازن فيها في ترغيب ساحر أخاذ بين الدين والدنيا. فأي موجب للشك في نسبة هذه الخطبة لطارق، وطارق اشتهر في قومه بالفصاحة....، ماذا يفيد الارتياب في أمر تتشابه دلائل عديدة في مراجعنا وبشكل صريح، علما أن الأدلة لا تتكامل على نقضه ففي " نفح الطيب" وصف لطارق يقول:" إن طارقا كان حسن الكلام، ينظم مايجوز كتبه"...علما أن والد طارق زياد أسلم منذ أيام عقبة بن نافع... لذلك شب طارق في بيت مسلم، لقنه تعاليم الإسلام، أبوه من ناحية، وموسى من ناحية ثانية.

عجبا للأجانب شرقيهم وغربيهم، إن وجدوا في تاريخهم قصة أو قولا أو حادثة تنهض بجيلهم، وتثبت في نفوس النشء روحا وتربطهم بأمتهم وذاتيتهم، صححوها وإن لم يروا إلا مرجعا واحدا من مراجعهم، بل قد يختلقون أحداثا، وينسجون قصصا يلصقونها برجالاتهم لما في ذلك من مصلحة للجيل وفائدة للنشء، وخير للأمة، وعجبا لنا....ما بالنا؟!، مراجعنا تذكر أن طارق كان حسن الكلام، ينظم ما يجوز كتبه، وترعرع في بيت مسلم يتلى فيه قرآن كريم، ثم يأتينا من يقول: ما أظن، وكان اجتيازه البحر في شهر رجب سنة اثنتين وتسعين هجرية (٧١٠م)"[3]

وعلى العموم، فخطبة طارق بن زياد ثابتة بلا ريب كما رأينا في كتب الأدب والتاريخ ، وأن طارق بن زياد قادر ومؤهل لإلقاء هذه الخطبة مادام شاعرا ينظم الأشعار ويكتب القريض باعتراف المقري صاحب "النفح الطيب"، فإذا كان طارق شاعرا يعترف له بالشاعرية والنبوغ وجودة الإبداع، فما بالك بشاعر يخطب في الناس بنص نثري يخلو من الإيقاع ولا يعتمد إلا على الصور البلاغية وأسلوبي الترغيب والترهيب، فإنه من الطبيعي أن يكون شاعرا في خطبته مفلقا في نصه النثري المسترسل روعة وبيانا.

تبين من خلال هذا العرض بطلان تلك الحجج والآراء التي تشكك في صحة هذه الخطبة ونسبتها إلى طارق، وتبين أيضاً أنّ هذا الشك جاء أوّلاً من بعض المستشرقين الذين يشك في نياتِهم، وقد كشفتُ عن بعض ما يرمي إليه الشك، والهدف الذي يسعى إليه "الاستشراق" و"التبشير" و"الاستعمار" من بث مثل هذه الأفكار السامة. وأخوَفُ ما يُخَافُ أن يأتي يومٌ يشك فيه في الفتح، وفي الوجود العربي الإسلامي الذي دام ثمانية قرون بالأندلس، وأنْ تُصبحَ شخصيةُ طارق أسطورة، وعبورُهُ العظيم للبحر، وانتصاره على ملوك الأندلس وفتحه الطريق للمسلمين نحو قلب أوربة أسطورة... لهذا كله، نحن لا نشكُّ في صحة الخطبة ونسبتها إلى طارق، ولا في حادثة إحراق السفن، وإن شك فيهما كثير من الناس، ونرى أنَّ نسبة الخطبة إليه ثابتة، وإن كان اختلاف النصوص في المصادر القديمة يدعو إلى الاعتقاد بأنَّ الخطبة قد أدخلت عليها تعديلات وإضافات من قبل الأجيال اللاحقة حتى انتهت إلى الشكل الذي هي عليه الآن، بل الراجح أنَّ طارقاً لابد أنْ يكون قد خطب في جنوده خطبة أثارت حماسهم، هي من أروع ما سجّله الرواة، خطبة تنبع من قلب قائد عظيم يقاتل في سبيل الله. ولكننا نظنّ أنّه ألقاها بأسلوب مبسط، مع ترجمة إلى اللهجة القبائلية (كما يفعل بعض الخطباء اليوم)، لأنّها وجهت إلى جنود معظمهم من البربر، لم تكن لغتهم العربية قد وصلت إلى مستوى

عال مما عليه الخطبة فهم حديثو العهد بالإسلام والعربية، ولاسيما أنَّ العربية هي أبطأ في الانتشار من الإسلام٩٠ .

الخاتمة

يتبين لنا من خلال هذا العرض أن طارق بن زياد من أهم أبطال المقاومة الأمازيغية في العصر العربي الوسيط، ومن أهم الفاتحين المسلمين الذين أظهروا شجاعة كبيرة وبلاء عظيما في التحدي والصمود، مما جعله يفتح الأندلس بإيمان صادق بعد انتصاره على لذريق ملك القوط سنة ٩٢هـ، واستطاع بجيشه البربري الذي كان يقوده إلى جانب مجموعة من قادة العرب التوغل في شبه الجزيرة الأيبيرية لنشر الإسلام، وتثبيت العقيدة الربانية السمحة القائمة على اليسر والتعايش والتقوى، وبناء الحضارة الإنسانية التي تجسدت بكل جلاء ووضوح في الكثير من مدن إسبانيا وخاصة في غرناطة وطليطلة.

هذا، ولقد انطلقت الحضارة الغربية من بلاد الأندلس التي فتحها طارق بن زياد لتنشر إشعاعها الثقافي والفكري والعلمي والفني والتقني في كل ربوع أوربا المسيحية التي كانت تعيش في الظلمة الحالكة والجهل المطبق في العصور الوسطى.

ويكفي طارق فخرا ومجدا ما كان يجري على لسانه من فصاحة وبلاغة وقدرة على الإبداع و نظم الشعر وقرضه. ولكن سيبقى طارق بن زياد خالدا في صفحات التاريخ بفضل فتحه للأندلس الفيحاء، وبسبب خطبته المشهورة التي حيرت الفصحاء والبلغاء والمبدعين لروعة بيانها وجمال أسلوبها ودقة صورها الفنية، وما تركته من انطباعات رائعة وبصمات خالدة وما خلفته من آثار إيجابية طوال التاريخ العربي .

المستخلص

قدمت الدراسات التاريخية كثيرا" من الأحداث المهمة التي كان وراءها شخصيات فذة ، فمن ابرز تلك الإحداث ؛ الفتوحات الإسلامية التي بفضلها تنشر الإسلام حتى وصل إلى شبه الجزيرة الأيبيرية ، والابواتية في فرنسا . لم تكن هذه الفتوحات

من الأمور الهينة ، إذ استطاع المسلمون ـ من خلالها ـ أن يقدموا ما يعرف بـ (غرابة الحداثة) الذي غزا العالم بأسره ، فكان ذلك بفضل ثمار الحضارة العربية التي أنعشت الأندلس وغيرها من المدن . فكان من أبرز قيادات هذه الحاثة القائد المسلم (طارق بن زياد) وهذا البحث يحاول أن يسلط الضوء على جوانب مهمة منه ؛ فقد تضمن مبحثين أولهما: تناول شخصية طارق بن زياد وشجاعته وجوانب من خطبته وتحليلها . أما المبحث الأخر فقد خصص لخطبة (طارق بن زياد) بين الشك واليقين ، وما آلت إليه العوامل التاريخية والفكرية التي كانت مثار شك وجدل في عائديه هذه الخطبة أهي لطارق أم لغيره ؟

ثم نفي رواية ابن خلكان ، وقد توصل الباحثان إلى ؛ عدم أنكار إلقاء خطبة لطارق بن زياد قبل المعركة ، غير أنها ليست الخطبة التي جاءت في كتب المتأخرين . ثم ترجيح الخطبة التي ذكرها المؤرخ الأندلسي ((عبد الملك بن حبيب)) وقد ذكر جانب منها في ثناء هذا البحث ، في صفحته السادسة عشرة .

Abstract

Historical studies provided a lot "of important events that was behind unique personalities, it is the most prominent of those events; Islamic conquests by which Islam Niche even arrived to the Iberian Peninsula, and France Alaboatih. These conquests were not of trivial things, it could Muslims from which to provide what is known as the (surprising modern) who invaded the whole world, and that was thanks to the fruits of civilization that revived Arab Andalusia and other cities. Most notably the leaders of this Muslim leader Alhath (Tariq bin Ziyad) This research tries to shed light on important aspects of it; has included two sections: first, taking personal Tariq bin Ziyad, courage and aspects of the speech and analysis. The other section was allocated to the sermon (Tariq bin Ziyad) between doubt and certainty, and the outcome of the historical and intellectual factors that were questionable and controversial in the ownership of this sermon ahi Tariq or the other?

Then banished novel son Khalkan, The researchers reached; not deny delivering a sermon to Tariq bin Ziyad before the battle, but it is not a sermon, which came in the later books. Then the sermon

mentioned weighting of Andalusian ((Abdul Malik bin Habib)) has been reported by FIA praise this research, yet sixteen.

هوامش البحث

١. الأدب العربي وتأريخه ، محمد خليفة وزكي سويلم ، القاهرة – مصر ، ١٩٨٧ ، ص١٠٧ .
٢. تاريخ افتتاح الأندلس ، ابو بكر محمد بن عمر القرطبي (ابن قوطية) بيروت – لبنان ، ١٩٥٨ ، ص١٩-٢٠ .
٣. وقعت معركة بلاط الشهداء في سهول بوانية وعلى بعد ٢٥٠ كم من باريس جنوباً .
٤. أدباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ، بطرس البستاني ، ص١٦ .
٥. أخبار المجموعة في فتح الاندلس، مجلة تصدرها الاكاديمية التأريخية ج١ ، مدريد ، ١٩٦٧، ص١٩-٢٠،
٦. هؤلاء الأدباء هم : ابو الخطار حسام بن ضرار الكلبيي ، جعونة بن الصمة الكلابي ، طارق بن زياد وغيرهم .
٧. نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، اديب المغرب وحافظة الشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت، ١٩٨٨، ص٢٦٥.
٨. البيان المغربي في اخبار ملوك الاندلس والمغرب ، بن عذاري ، ج١ ، دار صادر ، بيروت ، ص٤٣ .
٩. صفحات مشرقة من التأريخ الاسلامي ، علي محمد الصلابي ، المجلد الاول ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، ٢٠٠٥،ص٣١١.
١٠. نفح الطيب ، مصدر سابق ، ص٢٤٨ .
١١. تأريخ الأدب الناثر والشاعر بالمغرب قديماً وحديثاً ، عبد الله الجراري ، كتاب مخطوط عند ابنة عباس الجراري ، الخزانة الحسينية بالرباط .
١٢. المسألة الامازيقية في الجزائر والمغرب ، عز الدين المناصر ،ط١ ، دار الشرق – عمان ، ١٩٩٩، ص٨٨.
١٣. صفحات مشرقة ، مصدر سابق ، ص ٢٠٦.
١٤. صفحات مشرقة ، مصدر سابق ، ص ٢٠٦.
١٥. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، ابي عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح الحميدي . المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ١٨-٢٠ .

١٦. الكامل في التأريخ ، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني المعروف بأبن الاثير ، تحقيق علي شيري ، م٤ ، دار احياء التراث العربي ، ط١ ، بيروت – لبنات ، ٢٠٠٤ ، ص١٧٨-١٧٩ .
١٧. المغرب عبر التأريخ ، ابراهيم حركات ، ج١ ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ١٩٦٥ ، ص ٨٩ .
١٨. المغرب عبر التأريخ ، مصدر سابق ، ص ٩٠ .
١٩. صفحات مشرقة ، مصدر سابق ، ص ٣١٤-٣١٥ .
٢٠. الاندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة ، احمد بدر ، ج١ ، ط٢ ، مزيدة ومنقحة ، بيروت – لبنان ،١٩٦٩ ، ص١٦-٢١ .
٢١. الادب المغربي من خلال ظواهرة وقضاياه ، عباس الجراري ، ج١ ط١ ، مكتبة المعارف ، الرباط ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٢ ، ص٥٣-٥٤ .
٢٢. النبوغ المغربي في الادب العربي ، عبد الله كنون ، ج١-٢ط٣ ، مكتبة المدرسة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ٤٢ .
٢٣. نفح الطيب ، مصدر سابق ، ٢٤٠
٢٤. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن بكر بن خلكان ، حققة احسان عباس ، مج ٥ ، دار صادر بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٣٢٠-٣٢٣ .
٢٥. استفتاح الاندلس ، عبد الملك بن حبيب ، حققة ونشرة محمود علي مكي ، المجلد الخامس ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٥٧ .
٢٦. تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس ، علي بن عبد الرحمن الهذيل ، مخطوط المكتبة الوطنية ، مدريد رقم (٥,٩٥) ،١٩٣٢ ، ص ٧٠ -٧١ .
٢٧. الامامة والسياسة ، الامام الفقيه ابي محمد عبد الله بن مسلم لابن قتيبة الدينوري ، حققة طة محمد الزيني ، ج٢ ، دار الاندلس ، النجف ، ١٩٨٩ ، ص ١٠٦ – ١٧٠ .
٢٨. تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس ، علي بن عبد الرحمن الهذيل ، مخطوط المكتبة الوطنية ، مدريد رقم (٥,٩٥) ،١٩٣٢ ، ص ٧٠ -٧١ .
٢٩. التأريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، عبد الرحمن علي الحجي ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٧٦ ،ص ٥٩ .
٣٠. استفتاح الاندلس ، عبد الملك بن حبيب ، حققة ونشرة محمود علي مكي ، المجلد الخامس ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٥٧ .

٣١. الامامة والسياسة ، الامام الفقيه ابي محمد عبد الله بن مسلم لابن قتيبة الدينوري ، حققة طة محمد الزيني ، ج٢ ، دار الاندلس ، النجف ، ١٩٨٩ ، ص ١٠٦ – ١٧٠ .
٣٢. الادب المغربي ، مصدر سابق ، ص ٦٦-٦٧ .
٣٣.ريحان الالباب وريعان الشباب في مراتب الاداب ، لأبي محمد عبد الله المواعيني الاشبيلي ، ص٦١ .
٣٤. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن بكر بن خلكان ، حققة احسان عباس ، مج ٥ ، دار صادر بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٣٢١-٣٣٢ .
٣٥. تحفة الانفس ، مصدر سابق ، ص ٧٠-٧١ .
٣٦. نفح الطيب ، مصدر سابق ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ .
٣٧. طارق بن زياد ، سوادي عبد محمد ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٨٥-٨٦ .
٣٨. الدب العربي وتأريخة ، مصدر سابق ، ص١٠٤ .
٣٩. نفح الطيب ، مصدر سابق ، ص٢٦٥ .
٤٠. ادب السياسة والحرب في الاندلس ، علي الغزاوي ، ص٤١٢ .

٤١. الموجز في الادب العربي وتاريخة ، وضعه لجنة من الاساتذة بالاقطار العربية ، ص ١٥٧ .
٤٢. نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله الادريسي ، نشره دوزي ودي خوية ، امستردام ، ١٩٦٩ ، ١٧٨ .
٤٣. خطبة طارق بن زياد هل قالها حقاً ، احمد بسام الساعي ، مجلة العربي ، العدد ٢٩٣ ، ١٩٨٣ .
٤٤. طارق بن زياد ، مصدر سابق ، ص٨٦ .
٤٥. خطبة طارق بن زياد هل قالها حقاً ، مصدر سابق .
٤٦. سورة الصف الاية (٨) (يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم والله متمُ نوره ولو كره الكافرون) .
٤٧. ادب السياسة والحرب في الاندلس ، مصدر سابق ، ص ٤١٣ .
٤٨. ادب السياسة والحرب في الاندلس ، مصدر سابق ، ص ٤١٤ .
٤٩. خطبة طارق بن زياد هل قالها حقاً ، مصدر سابق .
٥٠. طارق بن زياد ، مصدر سابق ، ص٨٨ .
٥١. الادب العربي وتأريخة ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ .
٥٢. النبوغ المغربي في الادب العربي ، شكيب ارسلان ، ج٢ ط٢ ،١٩٦٠ ، ص ٢٢-٢٣ .

٥٣. الحلل السندسية في أخبار والآثار الأندلسية ، شكيب ارسلان ،ط٣ ج٢ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٥٥ – ١٩٣٦ ، الأجزاء الثلاثة .
٥٤. نفح الطيب ، مصدر سابق ، ص٢٦٥.
٥٥. دولة الاسلام في الاندلس من الفتح الى بداية عهد الناصر، محمد عبد الله عنان،العصر الاول، القسم الاول، ط٤،مطبعة الجنة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٩، ص٤٧.
٥٦. تأريخ الادب والنصوص ، محمد الطبري عبد النافع وابراعيم يوسف ،ص١٧٢.
٥٧. الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ، د.احمد هيكل ، دارالمعارف بمصر،ط٣، ١٩٦٧،ص٦٢-٦٧.
٥٨. ملامح الشعر الاندلسي ، د.عمر الدقاق ، ص٤٨-٤٩.
٥٩. الادب المغربي ، مصدر سابق ، ص١٠٣-١٠٤.
٦٠. دولة الاسلام في الاندلس ، مصدر سابق ، ص٤٧.
٦١. محطات اندلسية ، محمد حسن ، ص٣٢.
٦٢. تأريخ الادب العربي ،ج٤، ص٤٠.
٦٣. خطبة طارق بن زياد ، مصدر سابق .
٦٤. طارق بن زياد ، مصدر سابق ، ص٨٣-٨٤.
٦٥. التأريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، د. عبد الرحمن علي الحجي ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٦ ، ص٥٩-٦٠.

٦٦. الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ،د.احمد هيكل ، دار المعارف بمصر،ط٣، ١٩٦٧،ص٦٢-٦٧.
٦٧. البيان المغربي في اخبار الاندلس والمغرب،ابوعبدالله محمد المراكيشي ابن عذاري،مكتبة صادر-بيروت،ج٢،ص٥.
٦٨. تاريخ العرب والاسلام ، د.سهيل زكار ، ص٤٢٣.
٦٩. الادب المغربي من خلال ظواهرة وقظاياه ، مصدر سابق ، ص٥٨-٥٩.
٧٠. استفتاح الاندلس ، عبد الملك بن حبيب ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد العدد٥ سنة ١٩٥٧، ص٢٢١-٢٢٢.
٧١. الامامة والسياسة ، مصدر سابق ، ص١٠٦-١٠٧.
٧٢. سراج الملوك ، للطرطوشي ، ص٦١.
٧٣. تأريخ الادب الناثر والشاعر بالمغرب قديماً وحديثاً ، نقلاً عن د.عباس الجراري ، ص٦١.

٧٤. وفيات الاعيان ، مصدر سابق ، ص ٣٢١-٣٢٢.
٧٥. تحفة الانفس ، اقتبسة محمد عبد الله عنان في كتابة دولة الاسلام فس الاندلس ،ص٤٦-٤٧.
٧٦. نفح الطيب ، مصدر سابق ، ص ٢٤٠-٢٤١.
٧٧. خطبة طارق بن زياد هل قالها حقاً ، مصدر سابق .
٧٨. خطبة طارق بن زياد هل قالها حقاً ، مصدر سابق .
٧٩. اداب السياسة والحرب في الاندلس ، مصدر سابق ، ص٤١٤-٤١٥ .
٨٠. النبوغ المغربي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٢٩.
٨١. التأريخ الاندلسي ، مصدر سابق ، ١٧٢.
٨٢. ادب السياسة والحرب ، مصدر سابق ،ص٤١٤.
٨٣. نشأت الادب العربي في المغرب ظروفها ومظاهرها ، د.عباس الجراري ، مجلة المناهل المغربية العدد٢ ص١١١-١١٩.
٨٤. الادب المغربي من خلال ظواهرة وقضاياه ، مصدر سابق ،ص ٥٣-٥٤.
٨٥. النبوغ المغربي في الادب العربي ، مصدر سابق ، ص٢٣.
٨٦. الادب المغربي من خلال ظواهرة وقضاياه ، مصدر سابق ،ص ٥٨-٥٩.
٨٧. الادب المغربي من خلال ظواهرة وقضاياه ، مصدر سابق ،ص ٦٦.
٨٨. الادب المغربي من خلال ظواهرة وقضاياه ، مصدر سابق ،ص ٥٩-٦٤.
٨٩. قادت فتح المغرب العربي ، محمد شيت خطاب ، دار الفكر ، ط٧، ج١ ، ١٩٨٤ ، ص٢١٤
٩٠. تأريخ المسلمين واثارهم في الاندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، د. السيد عبد العزيز سالم ، دار النهضة المغربية – بيروت – لبنان ، ١٩٦١ ، ص ٧٨.

قائمة المصادر والمراجع

١. القران الكريم .
٢. أخبار المجموعة في فتح الأندلس، مجلة تصدرها الأكاديمية التاريخية ج١ ، مدريد ، ١٩٦٧.
٣. الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، د.احمد هيكل ، دار المعارف بمصر ، ط٣، ١٩٦٧ .
٤. أدب السياسة والحرب في الأندلس ، علي الغزاوي .
٥. الأدب العربي وتأريخه ، محمد خليفة وزكي سويلم ، القاهرة – مصر ، ١٩٨٧ ، ص١٠٧ .
٦. الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، عباس ألجراري ، ج١ ط١ ، مكتبة المعارف ، الرباط ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٢ .
٧. أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ، بطرس البستاني .

٨. استفتاح الأندلس ، عبد الملك بن حبيب ، حققه ونشره محمود علي مكي ، المجلد الخامس ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٥٧ .
٩. استفتاح الأندلس ، عبد الملك بن حبيب ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد العدد٥ سنة ١٩٥٧ .
١٠. الإمامة والسياسة ، الإمام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم لابن قتيبة الدينوري ، حققه طه محمد الزيني ، ج٢ ، دار الأندلس ، النجف ، ١٩٨٩.
١١. الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة ، احمد بدر ، ج١ ، ط٢ ، مزيدة ومنقحة ، بيروت – لبنان ،١٩٦٩ .
١٢. البيان المغربي في أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، أبو عبد الله محمد المراكشي ابن عذاري ، ج٢ ، مكتبة صادر- بيروت .
١٣. البيان المغربي في أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، أبو عبد الله محمد المراكشي ابن عذاري ، ج١ ، مكتبة صادر- بيروت .
١٤. تاريخ افتتاح الأندلس ، أبو بكر محمد بن عمر القرطبي (ابن قوطية) بيروت – لبنان ، ١٩٥٨ .
١٥. تأريخ الأدب الناثر والشاعر بالمغرب قديماً وحديثاً ، عبد الله الجراري ، كتاب مخطوط عند ابنة عباس الجراري ، الخزانة الحسينية بالرباط .
١٦. تأريخ الأدب والنصوص ، محمد الطبري عبد النافع و إبراهيم يوسف ،ص١٧٢.
١٧. التأريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، عبد الرحمن علي ألحجي ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٧٦ .
١٨. تأريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، د. السيد عبد العزيز سالم ، دار النهضة المغربية – بيروت – لبنان ، ١٩٦١ .
١٩. تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس ، علي بن عبد الرحمن الهذيل ، مخطوط المكتبة الوطنية ، مدريد رقم (٥,٩٥) ،١٩٣٢ .
٢٠. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، ابي عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح الحميدي . المكتبة العصرية ، بيروت ، ٢٠٠٤ .
٢١. الحلل السندسية في أخبار والآثار الأندلسية ، شكيب ارسلان ،ط٣ ج٢ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٥٥ – ١٩٣٦ ، الأجزاء الثلاثة .
٢٢. خطبة طارق بن زياد هل قالها حقاً ، احمد بسام الساعي ، مجلة العربي ، العدد ٢٩٣ ، ١٩٨٣.
٢٣. دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، محمد عبد الله عنان،العصر الاول، القسم الاول، ط٤،مطبعة الجنة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٩، ص٤٧.

٢٤. ريحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب ، لأبي محمد عبد الله ألمواعيني الاشبيلي .
٢٥. صفحات مشرقة من التأريخ الإسلامي ، علي محمد الصلابي ، المجلد الأول ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، ٢٠٠٥.
٢٦. طارق بن زياد ، سوادي عبد محمد ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٨ .
٢٧. قادت فتح المغرب العربي ، محمد شيت خطاب ، دار الفكر ، ط٧، ج١ ، ١٩٨٤ .
٢٨. الكامل في التأريخ ، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني المعروف بأبن الاثير ، تحقيق علي شيري ، م٤ ، دار احياء التراث العربي ، ط١ ، بيروت – لبنات ، ٢٠٠٤ .
٢٩. المسألة الامازيقية في الجزائر والمغرب ، عز الدين المناصر ،ط١ ، دار الشرق – عمان ، ١٩٩٩ .
٣٠. المغرب عبر التأريخ ، ابراهيم حركات ، ج١ ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ١٩٦٥.
٣١. الموجز في الأدب العربي وتاريخه ، وضعه لجنة من الأساتذة بالأقطار العربية ، ص ١٥٧ .
٣٢. النبوغ المغربي في الأدب العربي ، شكيب ارسلان ، ج٢ ط٢ ،١٩٦٠ ، ص ٢٢-٢٣ .
٣٣. النبوغ المغربي في الأدب العربي ، عبد الله كنون ، ج١-٢ط٣ ، مكتبة المدرسة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٦٥ .
٣٤. نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإدريسي ، نشره دوزي ودي خوية ، أمستردام ، ١٩٦٩ .
٣٥. نشأت الأدب العربي في المغرب ظروفها ومظاهرها ، د.عباس ألجراري ، مجلة المناهل المغربية العدد٢ .
٣٦. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، أديب المغرب وحافظة الشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٨.
٣٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن بكر بن خلكان ، حققه إحسان عباس ، مج ٥ ، دار صادر بيروت ، ١٩٧٧.